# النرجسية في شـــعر عنترة بن شداد

# The narcissism in the poetry of Antara bin Shaddad

https://aif-doi.org/AJHSS/106603

أ. د. محمـد أحمـد غالب العامـري*

* لغة عربية - أدب ونقد

Alamry_1971@yahoo.com

مستخلص

هذا البحث يُعنى بتلمس ظاهرة النرجسية في شعر عنترة بن شداد، ويتغور على نحو دقيق في بؤرتين، هما:

- استنتاج العوامل التي ولدت النرجسية لدى عنترة، وقد تجلى لنا منها جملة أسباب أو عوامل، وقفنا عليها، وذكرنا شواهدها من شعره.

- تتبع أبرز التجليات التي ظهرت فيها ومن خلالها نرجسيته، وقد وجدنا أن النرجسية عنده تجلت في تكنيكات عدة وظفها لإبراز ذاته، وضحناها مدللة بشواهد من شعره.

وكان التتبع الدقيق لحياة عنترة وشعره وسيلتنا لتحديد العوامل الأبرز التي نرى أنها أسهمت في تشكيل نرجسية عنترة، وتحديد التجليات والمظاهر التي برزت فيها ومن خلالها نرجسيته.

وقد توسل الباحث في زبر بحثه هذا بالمنهج الوصفي بحثياً، وبالمنهج النفسي نقدياً.

وقد خلص البحث إلى نتائج أهمها:

الصورة الإيجابية التي تختزنها الذاكرة الجمعية العربية لعنترة حالت دون الإحساس بالنرجسية التي يفيض بها شعره.

النرجسية عند عنترة لها عواملها المبررة، لكنها على كل حال ليست حالة مرضية، بل تنحو منحى إيجابياً.

عوامل نشوء النرجسية عند عنترة - بمجملها - تنبجس من بؤرة واحدة تتمثل بكونها ردة فعل الأنا المتعالية/المجني عليها ضد سلوك الآخر/الجاني إزاءها.

نرجسية عنترة المتقمصة للمثاليات جاءت على نحو سائغ أكسبها قبولاً، بل تعاطفاً وإعجاباً.

كلمات مفتاحية: النرجسية، تضخم الذات، الأنا المتعالية، عنترة بن شداد.

ISSN : 2410-1818

**مقدمة**

عنترة بن شداد من أبرز الشخصيات العربية الجاهلية التي حظيت بمذخور مشهود في المدونة العربية، وما زالت تحظى بحضور كبير في مخزون الوعي العربي، على أكثر من مستوى، وهو حضور إيجابي حظي بإعجاب وإكبار أثرا على طبيعة ما كتب عن شعر عنترة، فجاءت الكتابات عن شعره - جلها إن لم يكن كلها- منطلقة من خارج النص بسبب وقوعها تحت تأثير قناعات مسبقة - حالت بينها وبين استغوار النص - نتيجة ذينك الأمرين: الإعجاب، والإكبار. وقد أتيح لي أن كتبت أكثر من دراسة عن شعر عنترة؛ وأزعم أن ذلك ساعدني في الاقتراب من عالمه الداخلي، ومحاولة تغور ذاته للإسهام في اكتشاف زاوية من زوايا تجربته الشعرية.

وغالباً ما يركز البحث في مثل هذا الموضوع على قضيتين: الأسباب أو العوامل التي هيأت لنشأة النرجسية وسيطرتها على الذات، والمظاهر التي تجلت فيها النرجسية، وحول هذين سيتمحور حديثنا، أي في محورين:

**المحور الأول:** عوامل ظهور النرجسية في شعر عنترة

**المحور الثاني:** تجليات النرجسية في شعر عنترة

وسيكون شرح ديوان عنترة للخطيب التبريزي الذي قدم له ووضع هوامشه مجيد طراد عمدتنا فيما نورده من شعر عنترة، إلا أن لا يوجد فيه النص الوارد فنوثقه من غيره.

- **سبب كتابة البحث**

أثناء كتابتي بحث (التجليات القيمية في شعر عنترة) - مدفوعاً بالمخزون الإيجابي الذي يحظى به عنترة في ذاكرة المنظومة الثقافية العربية- لفت انتباهي أن وراء القيم الإيجابية الكائنة في شعره نرجسية طاغية – واراها عنا ذلك السمت الإيجابي الذي نحمله لعنترة- جديرة بالدراسة والتتبع، فكان هذا البحث تلبية لتلك الحاجة.

- **مشكلة البحث**

تتحدد مشكلة البحث في السؤالين الآتيين:

- ما العوامل التي تولدت عنها النرجسية عند عنترة بن شداد؟
- ما التجليات التي برزت فيها النرجسية في شعر عنترة؟

- **أهداف البحث:**

يهدف هذا البحث إلى:

- معرفة الأسباب التي تولدت عنها النرجسية عند عنترة بن شداد.
- تتبع المظاهر والتجليات التي برزت فيها النرجسية في شعر عنترة.

ISSN : 2410-1818

**تمهيد**

**النرجسية: إشكالية المصطلح والمفهوم**

استمدّت النّرجسية وجودها ومفهومها من أسطورة "نرسيس"، وموجزها أن نرسيس كان "يتباهى بجماله، فكان يمشي على ضفة النهر ويطل رأسه على الماء، ليتملى بطليعته وبهائه، فغضبت الآلهة منه فمسخته، فكان زهرة النرجس التي تنبت على ضفاف الأنهار، وترى محنية الرأس دائمًا وجهة الماء[1]"، و"من هنا بدأ علم النفس نقطة البحث في النّرجسية، وقد اهتم بها التحليل النفسي مع فرويد، بدءًا من الشخصية في عوامل تكونها، إلى الشخصية النّرجسية، وما يحكمها[2]" ومن ثم الطب النفسي في علم النفس المرضي والإكلينيكي، وعلم النفس العلاجي، وعلم النفس بعامة.

**التأسيس اللغوي**

النرجسية: مصدر صناعي من نرجس، و"النرجس بالكسرِ، من الرَّياحِينِ[3]"، وهو "فارسيّ معرَّب[4]". حول هذا يدور ما جاء في المعجمية العربية القديمة عن النرجس والنرجسية، فليس هناك ذكر أو إشارة لأي من الدلالات الاصطلاحية المعاصرة المعطاة لهذا المصطلح، وثمة من يرى أن هناك علاقة مشابهة بين زهرة النرجس والنرجسية، ووجه الشبه بينهما: "أن زهرة النرجس تلتف حول نفسها، وكذلك الشخصية النرجسية تتمركز حول ذاتها وتعشقها[5]".

ومما جاء في المعجمية العربية الحديثة حول هذا المصطلح تعريف المعجم الوسيط له بأنه: "شذوذ جنسي فِيهِ يَشْتَهِي الْمَرْء ذَاته[6]"، وهذا التعريف مستقى من بعض تصورات حقلي علم النفس والطب النفسي عن مدلول هذا المصطلح.

---

1. المعجم المفصل في الأدب، محمد التونجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1999م، 133/1.

2. النرجسية في شعر المتنبي، سامية محجوب، مذكرة لنيل الماجستير، جامعة البويرة، الجزائر، 2015م، ص32.

3. المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن بن سيده المرسي (ت: 458هـ) ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ – 2000م، 7/ 583.

4. جمهرة اللغة، أبو بكر بن دريد(ت: 321هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1987م، 711/2.

5. مقياس الشخصية النرجسية (NPS)، محمد أحمد إبراهيم سعفان، دار الكتاب الحديث، القاهرة 2008، ص 2،3.

6. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى/ أحمد الزيات/ حامد عبد القادر/ محمد النجار)،دار الدعوة، 912/2.

ISSN : 2410-1818

**التأسيس الاصطلاحي**

النرجسية: مصطلح نفسي مأخوذ من الأسطورة اليونانية (نارسيس) كما سلف الذكر، وقد حمل في أدبيات التحليل النفسي، وحتى في أعمال فرويد وحده دلالات متنوعةً جدًا مما يحول دون إعطائه تعريفا لا لبس فيه[7]. وسنكتفي ببعض التعريفات المناسبة للمقام:

عرف معجم مصطلحات التحليل النفسي، النرجسية بأنها: "الحب الموجه إلى صورة الذات[8]" أو "الرجوع إلى صورة الذات، وإلى تلك العلاقة المرآوية مع الذات[9]"،وعرفها قاموس "كامبرج" لعلم النفس أنها: "تقييم الفرد المتضخم الذات، والانشغال بخيالات النجاح والقوة، والإحساس بالصدارة، والميل إلى استغلال الآخرين[10]". وتعرف على نحو مقارب أنها: "حب الذات أي اتجاه الطاقة العاطفية نحو الذات واتخاذها موضوع الحب واللذة، بمعنى أن الانفعال تركز حول الشخص نفسه بدلا من العالم الخارجي[11]"، وقيل هي: "الشعور بالعظمة والإحساس بأهمية الذات والتميز[12]"، وهي أيضاً: "حب الذات أو المغالاة في حب الذات[13]"، ونخلص مما سبق إلى أن أبرز سمات النرجسية هي: تضخم الذات أو تضخيمها، والإعجاب المتعاظم بالأنا وإنجازاتها.

7. ينظر: معجم مصطلحات التحليل النفسي، جان لا بلانش و ج ب بونتاليس، ترجمة مصطفى حجازي، 1987م ص، 515.

8. السابق، ص، 515.

9. السابق، ص516.

10. عوامل الشخصية الخمس الكبرى كمنبئات للنرجسية، آمال عبد القادر جودة، وحمدي أبو جراد، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات التربوية والنفسية، المجلد 2، العدد 6، فلسطين، 2014م، ص51.

11. الشخصية النرجسية وعلاقتها بالسلوك الايثاري لدى الطلبة المتميزين في ثانويات المتميزين، إيمان صادق عبد الكريم، طالب عبد سالم ،مجلة كلية التربية للبنات، المجلد 23، العدد 2، العراق، 2012م، ص240.

12. أثر برنامج إرشادي للتخفيف من نرجسية الطلاب الشعراء في كلية التربية، أحمد يونس محمد البجاري، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد1، العدد11، بغداد، 2012، ص7

13. دراسة نفسية لشخصية المتنبي من خلال شعره، د. عبده علي الجسماني، الجيل الجديد، صنعاء، ط 1، 1999م، ص61.

ISSN : 2410-1818

وإن كانت بدايات استخدام هذا المصطلح منحصرة في الطابع المرضي، لكن فيما بعد اتضح أنها ليست دائما بالمفهوم السلبي، بل سمة في الشخصية تتواجد لدى جميع الأفراد أو كثير منهم، لكن بدرجات متفاوتة[14]؛ فليس كل حبٍ للذات أو الإعجاب بها سلباً أو يشكل حالة مرضية، بل إن "جوهر الحياة هو الحبُّ، وجوهر الحبُّ هو الذات[15]"- حسب محمد إقبال- فثمة ما يمكن أن يطلق عليه (النرجسية الصحيَّة)، وهي التي تقترن باحترام الذات، والترفع عما يزري بالنفس، ويمكن أن تكون محصلة إنجازات حقيقية للفرد في حياته، مصحوبة بإحساس لا شعوري باحترام الذات وتضخمها - كما هو شأن عنترة- فلا ينسب إلى مثل هذه الحالة الشذوذ والسلبية[16]، أي أنها "تصبح مرادفة لتقدير الذات الإيجابي[17]". ومن هذا المفهوم للنرجسية سننطلق في بحثنا هذا؛ " لاستكشاف ما ينطوي عليه النص من قيم جمالية، ومؤشرات نفسية[18]". إننا سنتعامل معها بوصفها المحفز الباني للشعرية عند الشاعر، لا بوصفها مرضا نفسيا يحط من قدر الشاعر المبدع[19].

ودلالات الشذوذ والسلبية العميقة اللصيقة بهذا المصطلح ينظر منها وإليها أصحاب علم النفس والتحليل النفسي والطب النفسي، ومن إليهم، لكنها قليلة الحضور خفيفة الظل في حقلي الأدب والنقد؛ لسموهما وتسامي متعاطيهما؛ لهذا الأمر ولكون النرجسية أصبحت مصطلحا مألوفاً قارا تقريباً آثرته في عنونة دراستي هذه على الرغم من كون مرجعيته الأصلية غير عربية.

## المحور الأول

## عوامل ظهور النرجسية في شعر عنترة

ثمت أسباب دقيقة تسهم في بذر شتلات النرجسية تبدأ من وقت مبكر، نحو: طبيعة النشأة الأولى للطفل، وطبيعة علاقته بأبويه أو بأحدهما، وطبيعة علاقة أبويه ببعضهما، .. لكنا لن نخوض في تفاصيل ذلك، وسنقتصر على الأبرز. وكان التتبع الدقيق لحياة عنترة وشعره وسيلتنا لتحديد العوامل

14. ينظر: علاقة مستوى النرجسية بالإدمان على شبكة التواصل الاجتماعي "الفيس بوك" لدى المراهق الجزائري، أطروحة دكتوراه، بن جديدي سعاد، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2016م، ص89.

15. محمد إقبال: فكره الديني والفلسفي، محمد العربي بو عزيز، دار الفكر المعاصر، دمشق، 1999م، ص66.

16. دراسة نفسية لشخصية المتنبي من خلال شعره ، ص61، 63.

17. الديناميات الوظيفية للشخصية النرجسية، عبد الرقيب أحمد البحيري، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، ط1، 2007م، ص154.

18. المرايا والرؤى دراسات في شعر الزبيري، د. عبد الحميد الحُسَامي، ط1، 2022م، ص8.

19. ينظر: نرجسية الشعراء الجاهليين، دراسة نقدية، د. إيمان محمد إبراهيم العبيدي، مجلة كلية التربية – ابن رشد، جامعة بغداد، العدد التاسع عشر، نيسان، 2015م، ص107.

ISSN : 2410-1818

الأبرز التي نرى أنها أسهمت في تشكيل نرجسية عنترة، وقد تجلى لنا منها جملة أسباب أو عوامل، وعند التمعن فيها رأينا أنها بمجملها تنبجس من بؤرة واحدة تتمثل بكونها ردة فعل الأنا المتعالية المجني عليها - عن وعي أو غير وعي - ضد سلوك الآخر/الجاني إزاءها، وأبرز صور ذلك:

**1. سلوك الآخر الاستعلائي**

سلوك الآخر الذي أثر بفاعلية في تشكيل النرجسية عند عنترة تمثل بصور أهمها: إهمال هذا الآخر لعنترة، واحتقاره له، وجحوده إياه.

والإهمال كان ابتداء في صدر حياة عنترة؛ فإنه عاش هَمَلاً مُهمَلاً، وعبداً محتقراً، بالرغم من كون أبيه من سادات القبيلة، لكنها عادة المجتمع. وعندما بدأ نجمه يعلو توالت الاحتقارات الموجهة إليه بسبب لونه الأسود، وكون أمه جارية حبشية، كما يوحي به قوله[20]:

**وقد أمسـوا يعيبوني بأمي وَلوني كلما عَقدوا وحَلُّوا**

وقوله[21]:

**يعيبونَ لوني بالسـواد وإنما فعالهم بالخبث أسـودُ من جلدي**

والعجيب في هذه القضية أمران:

**الأول:** أن شعر عنترة شكل سجلاً أمينا نقل الصورة الاحتقارية الصادرة من قومه ضده، بل ربما كان شعره هو المصدر الباقي لذلك.

**الثاني:** أنه شارك قومه في دعواهم المحتقرة له، على نحو أو آخر، نحو قوله[22]:

**أنا العَبـــدُ الذي بدِيار عبْسٍ ...**

وقوله[23]:

**(أنا العبدُ الذي خُبِّرْتِ عنه) رَعيْتُ جِمالَ قوْمي منْ فِطامي**

وقوله[24]:

**(أنا العبْدُ الَّذي خُبِّرْتَ عَنْهُ) وقد عاينْتَني فدعِ السَّماعا**

---

20. شرح ديوان عنترة، الخطيب التبريزي، قدم له ووضع هوامشه مجيد طراد. دار الكتاب العربي. بيروت.1425هـ -2004م، ص116.

21. السابق، ص59.

22. السابق، ص216– 217.

23. السابق، ص188.

24. السابق، ص 90.

ISSN : 2410-1818

وقوله موافقاً لهم[25]:

**ومن يكنْ عبــد قومٍ لا يخالفهمْ إذا جفوهُ ويسترضي إذا عتبــوا**

وقوله عن أمه[26]:

**وأَنا ابْنُ سوْداءِ الجبين كأَنَّها ضَبُعٌ تَرعْرَع في رُسومِ المنْزل**

**الساق منها مثلُ ساق نعامةٍ والشَّــعرُ منها مثْلُ حَبِّ الفُلْفُل**

هذه النظرة الدونية التي كان مجتمع عنترة ينظر بها إليه، بل فرض عليه التسليم بالتعامل انطلاقاً منها شطراً من حياته، لا شك أنها تركت في نفسه أثراً، بل وحفرت في مخيلته بحروف من ألم صوراً ظلت تغذي عنده محاولات لصنع واقع بديل مضاد ميدانه الذات ومادته الفن.

**2. الإحباط المتجدد**

حين برزت شخصية عنترة البطولية، وتميز بفروسية قليلة النظير، وشجاعة لا تضاهى، وجدت القبيلة نفسها محتاجة لشجاعته، مفتقرة لقوة ساعده، فليس ثمة من يسد مسده، أو يغني غناءه، فأصبح فارس بني عبس وحامي حماها كلما داهمها خطر أو غالها عدو، وهو لم يألُ في ذلك جهدا، ولم يدخر وسعاً، وصار بلاؤه في نصرة القبيلة مشهوداً، لكنه على الرغم من ذلك كله أخفق في أن ينال الرضا الذي يرجوه من قومه، والاعتراف الذي يرى أنه به جدير، أو هكذا كان يحس "ولاشك في أن الشاعر أشد إحساسا بلحظات الإحباط بسبب ما يناله من إخفاق، وقد قيل إذا كانت أعصاب البشر تحت جلودهم فإن أعصاب الشعراء فوق جلودهم، لكن الشاعر يلوذ بالشعر الذي قد يمكنه من تعويض الخسارة الواقعية[27]" أو يتخذه وسيلة تسلية وعزاء للنفس مما يواجه به من الجحود والنكران كما هو شأن عنترة مع قومه كلما اطمأن بهم المقام، أو زال الخطر[28]:

**يُنادُونني في السِّلم يا بْنَ زَبيبةٍ وعندَ صدامِ الخيلِ يا ابنَ الأطايبِ**

25. السابق، ص 25.

26. السابق، ص135.

27. المرايا والرؤى، ص21.

28. شرح ديوانه ص 35.

ISSN : 2410-1818

إن "من يعاني جرحا نرجسياً نتيجة الإحباط يشعر بحاجة ماسة إلى الثأر لمحو الخطأ، وإزالة الجرح بأية وسيلة ممكنة[29]" لكن عنترة لم يجد إلى ذلك سبيلاً غير لشعر؛ لذلك استمر شاكياً من جحودهم، متذمراً من نكرانهم وصنيعهم اللئيم معه[30]:

**يُنادُوني وَخيلُ الموْت تجري: محلُّك لا يُعادلهُ محلُّ**

**وقد أمسوا يعيبوني بأمي وَلوني كلما عَقدوا وحَلُّوا**

واتكاء الشاعر على الفعل المضارع (ينادونني- ينادونني - يعيبوني) يوحي بتجدد ذلك منهم وتكراره، واتصال هذه الأفعال بياء المتكلم يشي بعمق شعوره بالمأساة، وانحصارها فيه واقتصارها عليه، وتكرار اجتماع ياء المتكلم وواو الجماعة: فرد في مقابل الكل (الأنا/ الهُم) يوحي بعميق إحساسه بالإحباط، وتخيله امتداد سيطرته عليه؛ فهو (وحده) يتلقى طعنات (الجميع) المتكررة.

وهو أحياناً يكون أكثر واقعية في شعوره بالإحباط؛ فينسب ذلك الجحود لسادات قومه، فهم حالاً ومقالاً من يستنكفون أن يكون لعبد أسود تلك الحظوة، ويستكثرون عليه الشهرة والمكانة، ويحسدونه عليها، وينقموها عليه، وهو لسان حال الكبراء في كل موطن، {**وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم أهم يقسمون رحمة ربك[31]**} ثم يتبعهم في ذلك عامتهم، يقول[32]:

**إذا جحدَ الجميلَ بنو قرادٍ وجازَى بالقَبيح بَنو زيادِ**

**فَهُمْ ساداتُ عَبْسٍ أيْنَ حَلُّوا كما زعمُوا وفَرْسانُ البلادِ**

**حَلُمْتُ فما عَرَفتُمْ حقَّ حِلمي ولا ذكرَتْ عشيرَتكُمْ ودادي**

كل ذلك ولد في نفس عنترة ردة فعل عنيفة تضخمت فيها الذات عنده، ربما محاولة تعويضية تلجأ إليها أنا الشاعر؛ "لتسجيل حضورها عبر تجليات مختلفة، وتتوسل بتكنيكات متعددات، بعضها ظاهر مباشر، والآخر خفي غير مباشر[33]".

29. ينظر: النرجسية في شعر نزار قباني، سعد بو فلاقة، ط1، 1994م، ص10.

30. شرح ديوانه، ص116.

31. سورة الزخرف: 31-32.

32. شرح ديوانه، ص 57- 58.

33. المرايا والرؤى، ص40.

ISSN : 2410-1818

**3. حب عبلة**

العاملان السابقان (احتقار الآخر، والإحباط المتجدد) ألصق بالجانب النفسي، وتأثيرهما عكسي في تولد النرجسية وتضخم الأنا عند عنترة، وهذا الأمر قد نجده عند آخرين، أما (حب عبلة) فهو خصوصية عنترية بامتياز؛ لذلك سنطيل معه الوقوف.

أسهم حب عبلة في تشكيل النرجسية عند عنترة نتيجة الشعور بالنقص الذي يحسه عنترة إزاء عبلة نتيجة لونه الأسود وماضي عبديته، وهي فتاة جميلة حسيبة؛ فكان تضخيم الذات والمبالغة في إبراز شجاعته وما تميز به هي المحاولة التي يسلكها عنترة لردم الفجوة بينهما، ويتوسل بها لنيل رضاها وإعجابها؛ ولذلك نراه كثيراً يوجه/يتوجه إليها/عنها بالخطاب المباشر (سلي عني، انظري فعلي،..) أو غير المباشر. والشواهد على هذا العامل في شعره كثيرة جداً[34]، من ذلك[35]:

**لعلَّ عبلةَ تضحى وهيَ راضيةٌ ... على سوادي وتمحو صورةَ الغضبِ**

**إذا رَأتْ سائرَ الساداتِ سائرةً ... تَزورُ شِـعْري برُكْنِ البَيْتِ في رَجبِ**

واضح في هذا النص إعجاب عنترة بشعره، وتضخمه في عينه، وتضخيمه إياه أمام عبلة، كيف لا وهو يزوره (سائر السادات) بهذا البناء الذي يفيد الاستغراق مرتين: من خلال لفظ سائر، ومن خلال (ال) الاستغراقية في كلمة (السادات). وأن يكون الزائرون هم السادات، وأن يكون الظرف الزمني للزيارة شهر رجب بما له من حرمة ومنزلة، والظرف المكاني ركن البيت بما له من قدسية، إن كل ذلك يعطي انطباعاً بتضخم الذات الشعرية عند عنترة، وأن الذي يتولد عنها من شعر يكون قد بلغ مرتبة القداسة، فلا يشبهه سائر الشعر ولا يدانيه، وما يؤكد هذا الإحساس أن يكون الفعل المتخذ إزاء شعره هو(الزيارة) لا السماع، وأن كل الناس سائرة في شهر رجب إلى ركن البيت إنما هو لزيارة شعره فقط، لا لشيء آخر. هذه النرجسية، وتضخم الذات الشعرية دافعه ما صرح به الشاعر في البيت السابق (لعل عبلة تضحى وهي راضية على سوادي... إذا رأت سائر الناس...)

كما أنه بذلك يترجم عن الأنا المتضخمة فيه التي تأبى الدونية وتكافح أي نظرة من الآخر فيها شيء من الاستعلاء، ولو جاء ذلك من أحب الناس إليه، أو هو بذلك يحاول الانتصار للأنا العميقة المكلومة، كما في قوله[36]:

**وإنْ عابتْ سوادي فهو فخري لأني فارسٌ من نسل حام**

34. على سبيل المثال لا الحصر ينظر – فضلاً عما ذكر هنا– الصفحات: 12، 27، 34، 35، 36، 40، 41، 49، 50، 54، 56، 60، 61، 62، 67، 72، 79، 80، 81، 82، 83، 84، 89، 91، 104، 110، 111، 129 ،136، 136،210، 211.

35. شرح ديوانه، ص36.

36. السابق، ص188.

ISSN : 2410-1818

**ولي قلْبٌ أشَدُّ منَ الرّواسي وذكري مثلُ عرْفِ المسْكِ نام**

**ومنْ عَجبي أَصيدُ الأُسْد قَهْراً وأَفتَرسُ الضَّواري كالهوَام**

**وتقنصني ظبا السَّعدي وتسطو عليَّ مها الشَّرِبَّةِ والخُزام**

وثمة احتمال آخر، وهو أن الإلحاح الشديد منه والكثرة المفرطة في اقتران ذكر عبلة بحديثه النرجسي عن نفسه لم يكن نتيجة ضغط حبه لعبلة أو بسبب اهتمامه بشأنها، أو توسلاً إلى نيل إعجابها ورضاها؛ بل هو صورة من صور "توظيف الآخر واتخاذه وسيلة لإبراز الأنا أو مرآة تعكس صورتها[37]" أي إنه اتخذ من عبلة وسيلة أظهر بها نرجسيته، ولوحة أبرز بواسطتها ذاته المتضخمة، فعبلة بهذا إنما هي أداة من أدوات إشباع نرجسيته، أكثر من كونها عاملاً من عوامل نشوئها، ولعل قوله[38]:

**يـا عبـلَ قـد هـامَ الفُؤَادُ بـذِكْركم ... وأرى ديوني مـا يحـلُّ قضـاهـا**

**يـا عَبْـلَ إني في الكريهـةِ ضـيْغَمٌ ... شـرِسٌ إذا ما الطَّعْنُ شـقَّ جباها**

**وسـلي الفوارس يخبروكِ بهمتي ... ومواقفي في الحربِ حين أطـاهـا**

**وأزيـدهـا من نـار حربي شـعلـةً ... وأثيرهـا حتى تـدورَ رحـاهـا**

**وأكرُّ فيهم في لهيـب شـعـاعها ... وأكون أوَّل وافـدٍ يصـلاهـا**

**وأكون أول ضـاربٍ بمهنـدٍ ... يفري الجمـاجمَ لا يريـدُ سـواهـا**

**وأكون أولَّ فـارسٍ يغشـى الوغى ... فـأقود أوَّل فـارسٍ يغْشـاهـا**

**والخيـلُ تعْلم والـفـوارسُ أنـني ... شـيخ الحروب وكهلـهـا وفتـاهـا**

**يـا عبـلَ كم منْ فـارس خلَّيْتـهُ ... في وسـطِ رابيةٍ يَعُدُّ حصـاها**

**يـا عبـلُ كم من حرَّةٍ خلَّيتُهـا ... تبكي وتنعي بعلـهـا وأخـاهـا**

**يـا عبـلُ كم من مُهرةٍ غـادرتُهـا ... من بعـد صـاحبها تجرُّ خطـاهـا**

**يـا عبـلُ لو أني لقيـتُ كتيبـةً ... سـبعين ألفـاً مـا رهبـت لقـاهـا**

**وأنـا المنَّيـة وابن كـلِّ منيـةٍ ... وسـواد جلـدي ثوبهـا ورداهـا**

37. المرايا والرؤى، ص40.

38. شرح ديوانه، ص210– 211.

ISSN : 2410-1818

وشبهه مما يعضد ذلك؛ فنصيب عبلة في هذا النص الطويل بيت واحد هزيل العاطفة باهت الحضور بارد المشاعر هو البيت الأول، وتضج سائر أبياته بصور تكاد تتفجر فيها أناه تضخماً وامتلاء، وقد وظف من وسائل البنائين اللفظي والبلاغي ما يقوي ذلك ويزيده.

ومما يلفت الانتباه في اقتران ذكر عبلة وحديثه النرجسي عن نفسه كثرة انتقاله غير المبرر أو الممهد له أو ما يسمى بلاغياً بحسن التخلص من حديثه العاطفي معها إلى الفخر بأناه، كما في النص السابق، وكما في قوله[39]:

سـلي يـا عبلـةَ الجبلينِ عنـّا ... ومـا لاقـتْ بنو الأعجـام منـّا
أَبَـدْنـَا جَمْعَهُمْ لمـا أَتوْنـا ... تموجُ مواكـبٌ إنسـاً وجنـا
خلقـتُ من الجبـالِ أشـدَّ قلباً ... وقـد تفنى الجبـالُ ولسـتُ أفنـا

ولنا أن نزعم أن ذلك الانتقال غير السوي يسيء إلى مصداقيته الغزلية.

ولعل عبلة أكثر الناس إدراكاً لنرجسية عنترة؛ فتدغدغها أحياناً بشيء من الإطراء الذي يلامس شغافها، كما صور ذلك قوله[40]:

لقـد قـالـت عبيلـة إذ رأتني ... ومفرق لمتي مثـل الشـعـاع
ألا لله درك مـن شـجـاع ... تـذلُّ لهولـه أسـدُ البقـاع
فقلـْتُ لها: سـلي الأَبْطـال عنّي ... إذا مـا فـَرَّ مـُرْتـاعُ الـقـِراعِ
سموت إلى عنـانِ المجـد حتى ... عَلوْتُ وَلمْ أجـدْ في الجوِّ سـاع
وآخر رام أن يسـعى كسـعيي ... وجـدّ بجـده يبغي اتبـاعي
فقَصـرَّ عَنْ لحـاقي في المعـالي ... وَقـدْ أعيـَتْ بـه أيـْدي المسـاعي

فقد أعجبه من عبلة ثناؤها عليه، فكان أن تداعت أناه، وانثالت نرجسيته، واسترسل وكأنه قد وجد متنفساً وشيئاً من فرصة البوح، ويمكن أن يكون إنما صاغ هذا على لسانها ليعلّي من شأن نفسه بما يحقّق له حالة من حالات عشقه لذاته عن طريق إظهار عشق عبلة له؛ ليكون عشقها له معادلاً نفسيا لحالة عشقه لذاته؛ فيضمن زهوه ورفعته[41]؛ ولعل ما يسند هذا الاحتمال ويقويه أنها حين تستفز

39. السابق ص193– 194.

40. السابق ص96.

41. إيمان محمد إبراهيم العبيدي، نرجسية الشعراء الجاهليين دراسة نقدية، مجلّة كلية التربية، جامعة بغداد، العدد التاسع عشر، أبريل 2015، ص118.

ISSN : 2410-1818

كبرياءه، وتنال من أناه، فإنه لا يتقبل ولا يغض طرفاً؛ لأنه لا يهادن فيما ينال من نرجسيته، ولا يغضي إزاء شيء ينتقص من أناه، صور شيئاً من ذلك قوله[42]:

عجبـــتْ عبيلـــةُ منْ فتىً متبـــذل ... عاري الأشـــاجع شـــاحِبٍ كالمُنْصـــلِ
شـــــعْثِ المَفارِقِ مُنهجٍ ســـــرْبالُهُ ... لم يـــدَّهـنْ حـولاً ولم يـترجـــل
لا يكتســـى إلا الحديدَ إذا اكتســـى ... وكذاك كلُّ مغاور مســـتبســـل
قـد طـالَ مـا لبسَ الحـديـدَ فـإنَّمـا ... صـــدأ الحديدِ بجلدهِ لم يغســـل
فتضـــاحَكتْ عَجباً وقالَتْ: يا فتى ... لا خير فيـكَ كـأنهـا لم تحفـل

فلم يخضع ولم يستسلم، كما هو شأن سائر العشاق، حد قول الشاعر[43]:

اخضع وذل لمن تحب فليس في ... حكم الهوى أنف يشال ويعقد

بل ثارت نرجسيته ولم يهادن، ورد عليها[44]:

فعجبـتُ منهـا حين زَلّـتْ عينُهـا ... عن مـاجـد طَلْقِ اليـدَين شـــمَرْدَلِ
فلربَّ أملحَ منـــكِ دلاً فـــاعلمي ... وأَقَرَّ في الـــدّنيـــا لعينِ المُجْتلي
وَصـــلَتْ حبالي بـالـذي أنـا أهلُهُ ... مـن ودهـــا وأنـــا رخـيُّ المطـول
يـــا عَبـــلُ كم من غمرةٍ زُهـــاءَهـــا ... بـــالنَّفْسِ مـــَا كـــَادتْ لَعمرك تَنْجَلي
فِيهـا لَوامعُ لَوْ شـــــهـدت زُهـاءَهـا ... لســـــلوتِ بعد تخضـــــبٍ وتكحل

بل لا يجد غضاضة من أن يعرض بها في سبيل أن يبرز أناه، كما في قوله[45]:

وتظـــلُّ عبْلـــةُ في الخـــدور تجرُّهـــا ... وأظـــلُّ في حلق الحـــديـــدِ المبهم
يـــا عَبـــْلَ لو أبْصـــــــرْتِني لرَأيتني ... في الحربِ أُقـدِمُ كـالهِزَبْر الضـــــيْغَمِ

42. شرح ديوانه، ص120.

43. بدائع البدائه، علي بن ظافر الأزدي الخزرجي (ت: 613هـ)، طبعة مصر، 1861م، 9/1.

44. شرح ديوانه، ص120– 121.

45. السابق ص191.

ISSN : 2410-1818

فهذه المقارنة بين حاله وحال عبلة مجس للمتلقي تتراءى له فيه بجلاء نرجسية عنترة التي اتخذت عبلة فيها وسيلة لإبراز شجاعته المتعاظمة، ولا يهم أن عرض بعبلة، أو كان خطابه العاطفي لها بارداً؛ فليست (هي) الدافع أو الغاية من الخطاب الشعري، بل (الأنا)؛ لأنه ليس هناك عاشق حقيقي يستثقل معشوقه ويتبرم به ويستسمجه أو يسأم من معاناته تباريح الهوى[46].

وتوظيف عنترة لعبلة في تضخيم ذاته، وكونها وسيلة برزت فيها نرجسيته - أياً كان الدافع وراء ذلك - لا يقتصر على صور البطولة وخصال الشجاعة - وإن كان ذلك هو الغالب- فقد رأينا في الشاهد الأول كيف جعل من عبلة وسيلة برزت بواسطتها ضخامة الأنا الشعرية عنده.

وفي قوله [47]:

| | |
|---|---|
| ما اســـــــتَمْتُ أُنثى نفســـــــهَا في موْطنٍ | حـتـى أُوَفّـي مَـهـرهـــا مَـوْلاهـــا |
| وأَغُضُّ طرفي مـــا بـــدَتْ لي جـــارَتي | حتى يُواري جـــارتي مـــأْواهـــا |
| إني امرؤٌ ســـــــــَمْحُ الخليقـةِ مـاجـدٌ | لا أتـبـعُ الـنـفسَ الـلَّـجـوجَ هـواهـــا |
| ولئنْ ســـــــأَلْتَ بـذاكَ عبلـةَ خَبَّرَتْ | أن لا أريدُ من النســـــــاءِ ســـــــواها |
| وأُجيبُهـــا إمـــًّا دَعـــتْ لِعَظيمـــةٍ | وأعينهـا وأكفُّ عَّمـا ســـــــاهـا |

تبرز الأنا عنده متضخمة التشبع بأنواع من الخلال الحميدة، على نحوٍ قليل النظير، وكانت عبلة وسيلة من وسائل تمطيط ذلك وإبرازه.

## المحور الثاني

## تجليات النرجسية في شعر عنترة

تعْمِد أنا الشاعر إلى تسجيل حضورها عبر تجليات مختلفة، وتتوسل إلى ذلك بتكنيكات متعددة، بعضها ظاهر مباشر، والآخر خفي غير مباشر[48]. وإن كانت التكنيكات الخفية أو غير المباشرة أمتع، لكن الظاهر منها هو الأوفق مع دلالة العنوان (تجليات..). وثمة تجليات جَلِية تشكل ملتقى أودية تمتشج فيها أخلاط من تجليات فرعية.

46. النرجسية وتجلياتها في غزل بن زيدون، د. حسناء أقدح، مجلة جامعة دمشق، المجلد 29، العدد(1+2)، 2013م، ص207.

47. شرح ديوانه، ص208- 209.

48. ينظر: المرايا والرؤى، ص40.

ISSN : 2410-1818

وأبرز تجليات النرجسية في شعر عنترة:

**أولاً: التمركز في الذات**

فتكون ذات الشاعر هي: المحور والمدار، والمبتدأ والمنتهى، والبقية وسائل مساعدة وما عظم منها فغاية ثانوية.

وينشعب من التمركز في/على الذات تجليان، هما:

**أ. الانكفاء على الذات**

ويبرز الانكفاء على الذات في الحضور الطاغي لضمير (الأنا) في النص، وغياب ما عداه أو خفوته، وهذا الأمر في شعر عنترة من أبرز الظواهر وأطغاها. ويقترن ضمير(الأنا) في الأعم الأغلب بالفخر بالذات المتشبعة بالتضخم والعظمة والتميز، وتكاد قصائد ديوانه كلها تكون شواهد تفصح عن هذا الأمر بجلاء، من شواهد ذلك قوله[49]:

**خلقتُ من الحديدِ أشدَّ قلباً وقد بليَ الحديدُ وما بليتُ**
**وَإني قَدْ شَربْتُ دَمَ الأَعادي بأقحافِ الرُّؤوس وَما رَويتُ**
**وفي الحَرْبِ العَوانِ وُلِدْتُ طِفْلا ومِنْ لبَنِ المَعامِعِ قَدْ سُقِيتُ**
**فما للرمحِ في جسمي نصيبٌ ولا للسيفِ في أعضايَ قوتُ**

في هذه المقطوعة القصيرة تكرر ضمير المتكلم 9 مرات (6 تُ + 3 ي) وجاء توزيعها هندسياً، ففي كل بيت منها تكرر ضمير المتكلم مرتين، في كل شطر ضمير باستثناء البيت الثاني. وكل ضمير منها قد حمل صورة من صور تضخم الأنا، وتعاليها. ويُلحظ بجلاء أن الشاعر في هذا النص كان منكباً على ذاته، منكفئاً عليها وحدها، فلا يوجد أي ضمير آخر غير ضمير المتكلم؛ فوحده هو المذكور، وذاته فقط هي الحاضرة.

حتى حين يكون الفعل جمْعِيّاً تطغى عليه أناه وتتعالى ذاته، فلا ترى أحداً سواها، كما في قوله[50]:

**طَرَقْتُ ديار كِنْدَةَ وَهي تَدْوي دويَّ الرعدِ منْ ركضِ الجياد**
**وبَدَّدْتُ الفَوارِسَ في رُباها بطعنٍ مثلِ أفواه المزادِ**

ضمير المتكلم للشاعر هو البارز، والأنا وحدها هي الفاعلة، على الرغم من كون الفعل جمعياً، فليس الشاعر وحده هو من قام بهذه الأحداث، بل هناك جيشٌ يقاتل معه وإلى جواره، لكن طغيان الأنا غطى على عيني الشاعر فما عاد يرى غير نفسه.

49. شرح ديوانه، ص38.

50. السابق ص65

ISSN : 2410-1818

ومن ذلك أيضاً قوله[51]:

**ألاَ أبلغْ بني العشـراءِ عنـي علانيـةً فقد ذهب السـرارُ**
**قتلْـتُ سرَاتَكمْ وخَسلـتُ مِنْكمْ خسيلاً مثلَ ما خُسل الوبار[52]**

فالضمائر في: (عني، قتلتُ، خسلتُ) للمفرد المتكلم، بالرغم من أن ما جرى من حرب بني العشراء وقتل زعمائهم لم يكن الشاعر فيه متفرداً، بل كان مع قومه، لكنه أغفلهم في حديثه، وأصبحت أناه وحدها صاحبة الحضور والفعل.

وتظل (الأنا) عنده منكفئة على ذاتها، متفردة ومتعالية في حضورها وفي فعلها، يقول[53]:

**أطْوي فيافي الفلاَ واللَّيلُ معْتكِرُ وأقطعُ البيدَ والرَّمضاءُ تَستعرُ**

فهو وحده الحاضر، وذاته صاحبة الفعل والأثر، المستأثرة بالزمان والمكان.

ويبرز ذلك أيضاً في قوله[54]:

**ولا أرى مؤنِساً غيرَ الحسام وإنْ قلَّ الأَعادِي غدَاةَ الرَّوع أَوْ كَثُروا**
**فَحاذِري يا سـباعَ البَرِّ منْ رجلٍ إذا انتضى سـيفهُ لا ينفعُ الحذرُ**
**ورافِقِينـي تَريْ هامـاً مفلَّقـةً والطيْـرَ عاكِفـةً تُمسي وتَبْتكرُ**

انكفاء الشاعر على الذات هنا توسل بأكثر من آلية: بتصريحه بوحدته ونفيه وجود أي أنيس غير سيفه، ومرافقة السباع له، وافق هذا الانكفاءَ: تضخمُ الذات، وتعالي الأنا المتجليين بعدم اكتراثه بكثرة الأعداء، والتفاته عن ضمير الحضور/الأنا إلى ضمير الغائب/هو في البيت الثاني في مخاطبته للسباع محذراً من بطشه وسطوته، وناصحاً إياها بمرافقته لترى عجائب صنعه، فلم يكتف بالتعبير عن ذاته المتضخمة بضمير الأنا بل وظف ضمير الهو (حاذري من رجل.. انتضى)؛ إذاً هذا هو عالمه الخاص: الحسام، والسباع، والطير العاكفة على أشلاء ضحاياه.

---

51.السابق ص 77– 78.

52– الخسيل: الرذيل من كل شيء، لسان العرب، ابن منظور (ت: 711هـ)، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ، مادة خسل. وقيل الخسل هنا النفي والإخراج، أي: أخرجتكم ونفيتكم، وأخرجت منكم حتى الأراذل الذين يختبئون ولا يخرجون عادة لجبنهم. الوبار: دابة صغيرة لا تغادر بيتها من الخوف. أي أبقيت منكم بقية رذالاً، ينظر: تهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري (ت: 370هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م، 177/4.

53. شرح ديوانه ص 80.

54. السابق نفسه.

ISSN : 2410-1818

حتى عندما يصنع للقبيلة ما يصنعه، ويبذل من أجلها ما يبذل فإنه لا يرى إلا ذاته ولا يذكر إلا أناه؛ لأن نفسه وتحقيق ذاته مبتدأ القول ومختتمه، ودافعه الأول ومحركه، لا حبه القبيلة أو الشفقة عليها[55]:

**سلوا عني الرَّبيعَ وقد أتاني بجُردِ الخيل منْ سادات بدر**

**أسرتُ سراتهُم ورجعتُ عنهم وقد فرقتُهم في كل قطرِ**

**وها أنا قدْ برزتُ اليومَ أشفي فُؤادي منكم وغَليلَ صدْري**

فالربيع وسادات بني بدر الفزاريين لم يقصدوا قبيلة بني عبس عدوتهم اللدود، وإنما قصدوا عنترة وحده (وقد أتاني..)، والذي صدهم وردهم ليس قبيلته، بل هو وحده (أسرتُ، رجعتُ، فرقتُهم). لقد تضخمت أنا عنترة هنا وطغت، واختزلت القبيلة في ذاتها، وصادرت القبيلة تمامًا: فعلها، بل حضورها، بل حتى أثرها البعدي اللاحق: فهو المقصود من هجوم العدو، وهو من هزم العدو وشردهم، وهو وحده المستفيد المتشفي بالعدو ومنه.

ويلحظ هنا سيطرة ضمائر الأنا (10) ضمير، وتنوعُها: (4 تُ + 4 ي + 1 أنا +1 مقدر) في مقابل 4ضمائر فقط للغير(3هم+1كم) وكلها للأعداء، أما أبناء قومه المشاركون في الفعل فقد غيبهم كلياً في دهاليز نرجسيته.

وتبرز نرجسية عنترة هنا من خلال جمعها بين ضديتي الغياب/الحضور:

غياب قبيلته التي كان حضورها سيشكل عامل نقص له؛ فلن يعود وحده هو الفاعل.

وحضور قبيلة الأعداء، فقد وظف حضورها لإبراز أناه المتعالية، وذاته المتضخمة التي أصبحت المحور وذات الفعل المؤثر.

**ب. البحث عن الذات عند الآخر**

التعبير الذي: (يدغدغ النرجسية، ويشبع الأنا المتضخمة) لا ينحصر في التعبير الذاتي، ولا يقتصر عن تعبير الأنا عن نفسها، بل قد يكون ذانك متحققين في ثناء الآخر وإشادته على نحو هو أشهى لنرجسية النرجسي، ويحس أنه أكثر إشباعاً لغروره، وتضخيماً لأناه؛ لذلك يحرص عليه الشخص النرجسي جهده، ويشيد بيسيره، ويكثّر من قليله، ويحاول الإقناع بحقيقية موهومة. وتتوسل الأنا عنده بأكثر من آلية لتسجل حضورها من خلال توظيف الآخر توظيفاً مباشراً أو غير مباشر، وهذا الأمر مبثوث في ثنايا شعر عنترة، ويتخذ أكثر من لبوس، وسنقتصر على آليتين لهما حضور كثيف في شعر عنترة:

55. السابق ص 86.

ISSN : 2410-1818

- **الآلية الأولى:** جاء توظيف الآخر فيها مباشراً، تمثل ذلك في الطلب الصريح من الآخر (سلوا/ سلي) ليطلع (المخاطب) بنفسه على مكانة الشاعر الرفيعة، وخلاله المتفردة، وليتحقق من مصداقية الشاعر في ادعائه والفخر بنفسه، وأهليته لكل ما يدعيه، وسنورد شواهد من ذلك، وقرين كل شاهد رقم صفحته في الديوان تخفيفاً على الحاشية، مع تعليق عام يسير بعد ذلك:

سـلوا عني الرَّبيعَ وقـد أتـاني بجُردِ الخيـل منْ سـادات بـدر(86)

سـلُوا عنـا دِيـارَ الشـأم طَرّاً وفرسـانَ الملوكِ القَيْصـرية
سـلوا النُّعمـانَ عنّي يوْم جـاءَتْ فوارس عصـبة النـار الحمية (217)

سـلوا جوادي عني يوْمَ يحْملني هـل فـاتني بطـلٌ أو حلـتُ عن بطـل(137)

سـلي يـا عبـلُ عنـّا يومَ زرنـا قبـائـل عـامرٍ وبني كلابِ(35)

سـَلي عنـّا الفزاريّينَ لمـّا شـَفَيْنَا مِنْ فَوَارسـها الكُبُودا(50)

سـلي يـا عبـلَ قومـك عنْ فعـالي ومَنْ حضـرَ الوقيعـَةَ والطّرادا(49)

سـائلي يـا عبيـلَ عني خبيراً وَشـُجاعاً قَدْ شـيَّبَتهُ الحُرُوبُ
فسـينبيكِ أنَّ في حدّ سـيفي ملـكُ الموتِ حـاضـرٌ لا يغيـبُ(27)

فقلـْتُ لهـا: سـَلي الأَبْطـال عنّي إذا مـا فـرَّ مـُرْتـاعُ الـقـِراعِ
سـليهم يخبروك بـأن عزمي أَقـامَ برَبْع أعـْداكِ النَّواعي(96)

فسـائلي فرَسـي هلْ كُنْتُ أُطْلِقُهُ إلاّ على مَوْكـبٍ كـاللَّيـل مُحتبـِكِ
وسـائلي السـَّيفَ عنّي هلْ ضـرَبتُ بهِ يوم الكريهـةِ إلاّ هـامـةَ الملـكِ
وسـائلي الرُّمْحَ عنّي هلْ طعنْتُ بهِ إلاَّ المـُدَرَّعَ بينَ النَّحْرِ والحَنـَكِ(111)

ISSN : 2410-1818

سـلي سـيفي ورُمحي عنْ قِتالي هما في الحربِ كانا لي رفاقا
سقيتهما دماً لو كانَ يسقى به جبلاً تهامةَ ما أفاقا(104)

سلي فزَارَةَ عنْ فِعْلي وقد نفَرتْ في جحفل حافل كالعارض الهطل(136)

سلي يا عبل عمراً عن فعالي بأعدائكِ الألى طلبُوا قتالي
سليه كيف كان لهمْ جوابي إذا ما فال ظنكِ في مقالي(129)

وسلي لكيما تخبري بفعالنا عند الوغى ومواقف الأهوال
وسلي بنا عكاً وخثعم تخبري وسلي الملوك وطيء الأجبال(117)

سلي يا ابنةَ العبسيِّ رمحي وصارمي وما فَعلاَ في يوم حَرْبِ الأَعاجمِ(189)

سلي يا عبلةَ الجبلينِ عنَّا وما لاقتْ بنو الأعجام منَّا(194)

هَلاَّ سألتِ الخيلَ يا ابنةَ مالكٍ إن كان بعضُ عداك قد أغراك(110)

هلاّ سألتِ الخيلَ يا ابنةَ مالكٍ إن كنت جاهلة بما لم تعلمي(171)

أعبلةُ لو سألتِ الرمح عني أجابكِ وهو منطلق اللسان(197)

وظف الشاعر في هذه النصوص طرفاً ثانياً يبرز بواسطته ذاته، اتخذ هذا التوظيف الخطاب المباشر؛ ليقوم هذا الطرف بنفسه بالسؤال عن مواقف الشاعر العظيمة، وبطولاته الفذة. والشاعر لا يقصد توجيه هذا الطلب على وجه التحقيق، والمخاطب لن يقوم بذلك؛ أيضاً كثيراً ما يكون المسؤول (جوادي، ديار الشام، سيفي ورمحي، رمحي، وصارمي، الجبلين، الخيل 3مرات، الرمح) مما لا يُعقل منه جواباً. إذاً لم تكن تلك الخطابات إلا وسيلة وظفها الشاعر لينتزع من المخاطب التسليم له بما يخلعه على نفسه من صور النرجسية والتعالي، وقد يكون ذلك التوظيف نتيجة شعور بالنقص يحاول الشاعر تعويضه أو تغطيته، عن وعي أو دون وعي.

ISSN : 2410-1818

ويلحظ في هذه الشواهد الآتي:

- الكثافة المفرطة بتوظيف هذه الآلية ذاتها (سلوا/ سلي/ ..سألت)؛ ولعل هذا "من آثار شخصيته النرجسية المتعالية، التي تضع مقاييسها الخاصة للأشياء والأشخاص ولا تقبل التنازل عنها[56]".

توظيفه أسلوب الطلب المباشر (سل) بما في ذلك الشواهد الأخيرة، فالتحضيض يحمل رائحة الطلب؛ لأنه يوحي بالذات المتعالية التي تُصدِر الطلب.

كانت عبلة هي الأداة الأبرز في هذا التوظيف؛ ربما لأنها معنية باهتمامه أكثر من غيرها؛ أو لأنه يحس أن توظيفها يحقق لذاته قيمة أكبر.

كل شاهد من الشواهد السابقة إنما هو مفتتح لحديث نرجسي - يليه في الأبيات التي بعد ذلك - هو مقصد الشاعر وغايته، تجاوزناه خشية الإطالة.

- **الآلية الثانية:** التوظيف غير المباشر للآخر؛ لكي يؤدي من التعبير ما يشبع غرور الأنا عند الشاعر، أو يرمم ندوب النقص الغائرة لديه، أو يعوضه عن الحرمان الذي عاشه أو مورس ضده في مرحلة من حياته، تجلت هذه الآلية في حكايته عن الآخر، وأبرز صور ذلك قوله (يدعون عنتر)، من ذلك قوله في قصيدة واحدة[57]:

| | |
|---|---|
| لمـــا رأيـــت القوم أقبـــل جمعهم | يتـــذامرون كررت غير مـــذمم |
| (يـــدعون عنتر) والرمـــاح كـــأنهـــا | أشـــــطـــان بئر في لبـــان الأدهم |
| { (يدعون عنتـــر) والسيـــوف كأنها | إيماض برق في الســـــحاب الركم |
| (يـدعون عنتر) والـدمـاء ســـــواكب | تجري بفيـــاض الـــدمـــاء وتنهمي |
| (يـــدعون عنتر) والفوارس في الوغى | في حومـــة تحـــت العجـــاج الأقتم |
| (يـدعون عنتر) والرمـاح تنوشـــــني | عـادات قومي في الزمـان الأقـدم[58] } |
| ولقد شـــفى نفســـي وأبرأ ســـقمها | قيل الفوارس (ويك عنـــــتر) أقدم |
| [ (يدعون عنتر) والســـــيوف كأنها | برق تلألأ في ســـــحـــاب مظلم |
| (يـــدعون عنتر) والـــدروع كـــأنهـــا | حدق الضـــــفادع في غدير نجم |
| (يدعون عنتر) والنـــــبال كأنـــها | طش الجراد على المنـــادح حوم |

56. الابتيار في شعر عمر بن أبي ربيعة، د. هند بنت عبد الرزاق المطيري، مجلة الآداب للدراسات اللغوية والأدبية، المملكة العربية السعودية، العدد السادس، يونيو، 2020م، ص215.

57.شرح ديوانه ص181– 184.

58. الأبيات التي بين المعقوفين في هامش شرح ديوانه ص 182.

ISSN : 2410-1818

(يـــــدعون عنتر) والوغى ترمي بهم والمـوت نحـو لـواء آل محـلـم[59] ]

تِكرار الشاعر في الأبيات السابقة: "يدعون عنترة، ويك عنترة" هو حكاية هتاف المقاتلين يدعونه باسمه مستنجدين به؛ لذلك تتعالى الأنا عند الشاعر وتتضخم ذاته، إنه يجد نشوة غامرة، ويحس بلذة فائقة؛ ولذلك ألح بتكرار اسمه هذا الإلحاح الكثيف في قصيدة واحدة، وكان يمكنه الاستغناء بالضمير عن كثير من هذا التكرار، لكنه لم يصنع؛ لأنه يبحث عن هذا النداء؛ الذي يشفي نفسه، إنه يسعد كلما أكثروا منه وزادوا؛ ولذا أورده كله بصيغة المضارع التي تفيد التجدد والتكرار. لقد جعلهم وسيلة من وسائله في إبراز ذاته؛ فهم بهذه النداءات الكثيفة باسمه، والمناشدات المتلاحقة به في لحظات حرجة أشبعوا نرجسيته، وحققوا لأناه المتضخمة غايتها في التعالي والامتلاء، والتخلص من شعورها بالنقص، إنهم قد نابوا عن الأنا في التعبير عن ذاتها، وقاموا بذلك خير قيام.

نلحظ في الأبيات السابقة الآتي:

- أن آلية التوظيف هنا (يدعون عنتر) شكلت مفتاح جميع الأبيات عدا واحد؛ فكانت بذلك هي الجملة الأساس في كل بيت، ومحور الارتكاز، وبؤرة الاهتمام.
- احتلال المجموع (واو الجماعة/هم) رتبة المسند إليه في الجمل المكررة كلها؛ فيه تفخيم لأمره، وتضخيم من شأنه، وإشباع لأناه وذاته المتعالية؛ فالكل باسمه يهتف، وإياه يستغيث، وبه يلوذ، "هذا الهتاف - حسب د كريم الوائلي- لا يعلن التساوي بينه وبين قومه بل تفوقه عليهم، وهو أجمل نداء تسمعه أذناه"[60].
- تكرار آلية التوظيف (يدعون عنتر) ليس دافعه أي من أسباب التكرار المألوفة: تأكيد، أو دفع توهم، أو إزالة لبس، ... كما هو بين.
- إلحاحه بتكرار اسمه دون الضمير، فلم يقل (يدعونني) في أي موطن يؤكد نرجسية الشاعر وتعشقه لذاته، وتلذذه بتكرار اسمه.
- طبيعة توظيفه للضمير (يدعون/هم) في مقابل (عنترة/ أنا) توحي بنرجسية طاغية جعلت الأنا/ المفردة تفوق الـ (هم)/الجمعي، وتشكل لهم ملاذاً ومعاذاً.

59. الأبيات بين الحاصرتين وردت في شرح المعلقات التسع المنسوب لأبي عمرو الشيباني، تحقيق وشرح: عبد المجيد همو، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط1، 1422 هـ - 2001 م، ص253.

60 . الشعر الجاهلي قضاياه وظواهره الفنية. د. كريم الوائلي. ص160.

ISSN : 2410-1818

**ثانياً: تضخم الأنا وتضخيمها**

من تجليات النرجسية في شعر عنترة تضخم أناه فيه أو تضخيمه إياها، وهذا الأمر يشكل أبرز تجليات النرجسية في شعر عنترة أهمية وحضوراً وطغياناً، ولنا أن نزعم أن التجليات الأخر إنما هي صور من صور تضخم الذات أو تضخيمها عند الشاعر. هذا وإن لم يكن عنترة بدعاً في ذلك؛ "فالشّعراء تتضخّم ذواتهم وتسكن نفوسهم النرجسيّة[61]" ، بل وليس الشعراء وحدهم من يعاني ذلك، لكن بوحهم أبرز صفحتهم، وأرشد إلى دخائل أنفسهم؛ " بوصف الإبداع بوحًا ذاتيًا للذات المبدعة، تنعكس فيه نفسيته وأعماقه الباطنة، وأطوار حياته؛ لأن الشعر سجل أمين، ووثيقة تاريخية تقدم تفاصيل الحركة النفسية للذات الشاعرة [62]".

ولعنترة في هذا الأمر خصوصيته، ولآلياته التي تتوسل بها نرجسيته تميزها، ويبرز من ذلك آليتان:

- الإفراط في المبالغة بتضخيم الذات.
- تنوع الخصال التي يوظفها لتُبرِز تضخمَ أناه.

فمن الأولى قوله[63]:

| | |
|---|---|
| إنـــني لـــيـــثٌ عـــبـــوسٌ | ليسَ لي في الخلْق ثـــاني |
| خـــلـــق الـــرِّمـــحُ لـــكـــفـــي | والحســـــــــامُ الهنـــدواني |
| ومعي في المَهـــدِ كـــانـــا | فوْق صـــــدْري يُؤْنِســـــاني |

ادعاؤه التفرد وأن ليس له في الخلق ثان، وأن السيف والرمح إنما خلقا له وحده؛ ولذلك فهما مرافقاه من لحظة وجوده الأولى، هذا الطغيان في إبراز الذات وتضخيم الأنا إلى هذا الحد يقل نظيره عند سابقيه ومعاصريه من الشعراء، إنه يسعى لأن يحقق في عالم الحلم والأماني ما لا يمكنه تحقيقه في حدود العالم الواقعي، فالانفعال يحقق بالفعل النفسي ما يتعذر تحقيقه بالفعل الحقيقي[64].

61. مجلة القوافي، الشارقة، السنة الثالثة/ (24)، أغسطس، 2021، مقدمة العدد، ص3.

62. المرايا والرؤى، ص7.

63. شرح ديوانه، ص 199.

64. ينظر: في النقد والأدب، إيليا حاوي، الدار اللبنانية للكتاب، ط 4، 1971م ص، 46.

ISSN : 2410-1818

الشواهد الآتية من متفرق شعره ستجد صوراً عدة تتجلى فيها ذاته المتضخمة، وأناه المتعالية، (قرنت بكل شاهد رقم صفحته في الديوان تخفيفاً على الحاشية):

خلقتُ من الحديدِ أشـــــــدَّ قلباً ... وقـــد بليَ الحـــديـــدُ ومـــا بليـــتُ
وَإني قـَدْ شـــــــَربـْتُ دَمَ الأَعـادي ... بـــأقحـــافِ الرُّؤوس وَمـــا رَويـــتُ
وفي الحَرْبِ العَوانِ وُلـــِدْتُ طِفْلا ... ومِنْ لبَنِ المَعـــامِعِ قـــَدْ ســـــُقِيـــتُ
فما للرمحِ في جســـــمي نصـــــيبٌ ... ولا للســـــيفِ في أعضـــــايَ قوتُ(38)

خلقـتُ من الجبـالِ أشـــــــدَّ قلباً ... وقد تفنى الجبالُ ولســـــــتُ أفنى(193)

حـــاربيني يـــا نـــائبـــاتِ اللَّيـــالي ... عـنْ يمـيـني وتـــارةً عـن شمـــالـي
واجْهـــَدي في عـــَداوَتي وعِنـــادي ... أنـــتِ والله لم تـُلِمِّي ببـــالـي
إنَّ لي همةً أشدُّ من الصخـــــــــــ ... ـــــــــر وأقْوى منْ راسياتِ الجبال(131)

والخيـــــلُ تـعْلم والـفـوارسُ أنـني ... شـــــــيخ الحروب وكهلـهـا وفتـاهـا
وأنـــا المنَّيـــة وابن كـــلِّ منيـــةٍ ... وســـــــواد جلـدي ثوبهـا ورداهـا(211)

وأنـا المنيـة حين تشـــــــتجر القنـا ... والطعن مني ســـــــابق الآجـال(118)

ومـــا ولى شـــــــجـاع الحرب إلا ... وبين يـديـه شـــــــخص من مثـال
ملأْتُ الأَرضَ خوْفاً من حُســـــــامي ... فبـــاتَ النـــَّاسُ في قيـــلٍ وقـــال(129)

ولو أرْســـــــلْتُ رُمحـــــــي معْ جَبانٍ ... لكانَ بهيْبتي يلْقـــى السِّـــــــباعا
ملأْتُ الأَرضْ خوْفاً منْ حُســـــــامي ... وخصـــــــمي لم يجدْ فيها اتســـــــاعا
إذا الأَبْطالُ فَرَّت خوْفَ بأْســـــــي ... ترى الأقـــــطار باعـــــاً أو ذراعـــــا(90)

إن المنيـــــة لو تمثـــــل مثلـــــت ... مثلي إذا نزلوا بضنك المنزل(128)

نرجسية عنترة وتضخم الذات عنده في الشواهد السابقة توسلت بصفة واحدة هي الشجاعة ومفرداتها، وهي عنده السمة الأثيرة، وفي شعره الشهيرة الكثيرة، لكنه لم يكتف بذلك، ولم يقتصر عليه؛ فتأبى أناه المتعالية إلا أن تتوسل بادعاءات عديدة ومتنوعة توظفها لتضخيم الذات، وإبراز كمالها،

ISSN : 2410-1818

فـ "أنا المبدع ومثالية الشاعر والعلو إلى البطولة والطموح الفوار الذي يشغل صاحبه يأبى عليه إلا أن يخترق كالبركان طبقات شتى ليطفو على السطح[65]"، من ذلك ادعاؤه تفرد ذاته في جميع الفضائل، وعدم وجود نظير له أو شبيه في أيٍ من خصال الكمال، وفي ذلك يقول[66]:

**وإنّي قد سبقْتُ لكُلّ فَضلٍ فَهلْ من يَرْتقي مثلي المراقي؟!**

لم يقنع بادعاء اتسامه بالفضائل كلها، بل بسبقه لكل البشر وفي كل الفضائل، ولانفلات زمام نرجسيته – ربما في هذه اللحظة – لم يكتف بذلك الادعاء الخارق، بل صدر منه ذلك بصياغة توحي بسيطرة النرجسية على كيانه حتى غطت على منطق الإدراك أو حجبت الإدراك المنطقي عنه؛ فأصبح شديد الإيمان بحقيقة ما يدعي؛ فأكده بـ(إنَّ) وحرف التحقيق (قد)، وأردف ذلك باستفهام يحمل دلالات: (الاستبعاد، والنفي، والتحدي): يستبعد وجود أي أحد يرقى مثله مراقي الفضل، وينفي وجود هذا، ويتحدى أن يوجد مثله في بني البشر.

النرجسية السابقة نجدها أيضاً في قوله[67]:

**سموت إلى عنـــانِ المجـــد حتى عَلوْتُ وَلمْ أجدْ في الجوِّ ســـــــاع**

**وآخر رام أن يســـــعى كســـــعيي وجـــدّ بجـــده يبغي اتبـــاعي**

**فقَصَّـــرَ عَنْ لحاقـــي في المعالـــي وَقـــدْ أعيَـــتْ بـــه أيْدي المساعـــي**

النرجسية التي نجدها هنا هي ذاتها التي رأيناها في الشواهد السابقة: طغيان الأنا، وادعاؤها التفرد بين الناس، وانعدام النظير في تحقيق الفضائل بمجموعها ونيل المعالي بأنواعها، وإن كانت الصياغة اللفظية التأكيدية في الشاهد السابق توحي بثقة نفسية أكبر، وتعبر عن نرجسية أطغى، لكنه هنا لجأ إلى حيلة جديدة برزت بها نرجسيته، هي إيماؤه إلى وجود محاولات منافسة، وسعي جاد في اللحاق به، لكن كل ذلك فشل؛ لأنه ليس هناك من هو مثله، ولا من يستطيع أن يحقق ما حققه هو، أو أن يبلغ من المجد والمعالي مبلغه، فهو المتميز بين الناس دون نظير، والمتفرد الذي لا يلحق به أحد في أيٍ من المحامد والفضائل.

65. المرايا والرؤى ص54.

66. شرح ديوانه، 109.

67. السابق ص 96.

ISSN : 2410-1818

النرجسية وطغيان الأنا عند الشاعر في الشاهدين السابقين اتكأت على ادعاء تميزه بل تفرده في شتى الجوانب القيمية الكسبية (قد سبقت لكل فضيلة، سموت إلى..، علوت..)، لكن ثمة ادعاء غريب ينبئ عن تشبع الأنا بالغرور، ويبرز طغيان النرجسية بجلاء، يقول فيه[68]:

**وما وجد الأعادي فيَّ عيباً فعابوني بلون في العيـون**

لئن كانت النرجسية - من حيث الأصل – شذوذاً فهذا الادعاء شذوذ في النرجسية: أن يدعي المرء لنفسه التحلي بقليل أو كثير من الفضائل أمر مقبول - وإن لم نصدقه - لا سيما من الشعراء؛ لأن ذلك قد يكون تعبيراً عن مكامن اعتزازهم بأنفسهم، واعتدادهم بما يكتبون، وما تلهج به ألسنتهم من معانٍ شعرية تزخر بالإبداع[69]، لكن أن يدعي لنفسه الخلو من العيوب، والبراءة من النقائص، حتى إن الأعداء عجزوا عن أن يجدوا شيئاً من ذلك على الرغم من شديد حرصهم على تتبع عثراته، وتلمس معايبه. مثل هذا الادعاء يصدر عن (أنا) عاشقة لذاتها حد الغرق، معجبة بنفسها حتى الوهم، وهذا لم يقل به إلا المتألّهون أو مرضى النرجسية، و"النرجسية - حسب د إبراهيم مصطفى الحمد- مرض الشعراء الجميل، وبرجهم اللامع على مر العصور[70]" ويمكن أن نعد هذه من حالات الادعاء النرجسي النادرة في عصر الشاعر وما قبله، ولعل عنترة يكون من ألهمها النرجسيين بعده، منهم المتنبي القائل[71]:

**كم تطلبون لنا عيباً فيعجزكم ويأبى الله ما تأتون والكرم**

النرجسية المتجلية في تضخم الأنا وتضخيمها في الشواهد الثلاثة السابقة اتسمت بالعموم المستغرق: كل الفضائل (تَحَلِّياً) في الشاهدين الأولين، وكل النقائص والعيوب (تَخَلِّياً) في الشاهد الأخير.

ونلمس في شعر عنترة نمطاً من النرجسية المتجلية في تضخم الأنا وتضخيمها تنحصر في صفات محددة، والنرجسية في هذه قد تأتي أقل إيغالاً وتضخماً منها في الشواهد السابقة، من ذلك قوله[72]:

**ولي قلْبٌ أشَدُّ منَ الرّواسي وذكري مثلُ عرْفِ المسْكِ نامي**

---

68. لم أجده في ديوان عنترة الذي اعتمدته، ووجدته في شرح ديوان عنترة، عني بتصحيحه أمين سعيد، المكتبة التجارية الكبرى، ص157.

69. ينظر: شعرية القصيدة، مجلة القوافي، المقدمة ص3.

70. الاعتداد بالنفس هل هو حق مشروع، مجلة القوافي، ص4.

71. شَرْح شِعْر المُتَنبي، ابن الإفليلي (ت: 441هـ)، دراسة وتحقيق: الدكتور مُصْطفى عليَّان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1412هـ – 1992م، 52/2.

72. شرح ديوانه، ص 188.

ISSN : 2410-1818

في الشطر الأول تفاخر بالشجاعة وهي الشيء المألوف عنه كما سلف؛ لكن ذاته المتعالية أبت إلا أن يصوغ ذلك على نحو من التضخيم غير قليل؛ برز ذلك في: الحصر المستفاد من التقديم والتأخير في قوله: (ولي قلب..) فهو وحده دون الخلق من يملك هذا القلب الفذ، وكذلك من العموم في قوله: (.. الرواسي) فقلبه أشد من جميع الجبال الشامخة الراسية. وفي الشطر الثاني برزت نرجسيته ملتحفة بادعاء متضخم جمع أمرين: قلة الوجود عند الآخر، وتميز الوجود عنده؛ فقليلا ما يفتخر الشعراء بسمعتهم الحسنة، أما هو فمشهور غير خامل، وذكره الطيب على جميع الأفواه، بل تزيد سمعته الحسنة طيباً على مر الأيام.

ومن تجليات النرجسية وتضخم الأنا عنده أنه يمجد في نفسه همتها العالية التي لا تكل، وعزيمتها الماضية التي تبالي بالعوائق، كما في قوله[73]:

**فؤادٌ ليسَ يثنيهِ العذولُ وعيْنٌ نوْمُها أبداً قليـلُ**

وفي قوله[74]:

**عركْتُ النَّائباتِ فهانَ عندِي قبيحُ فِعَال دَهري والجميلُ**

وتأبى نرجسيته إلا أن تدعي التفوق في كل شيء؛ فكما أنه كان متفرداً في الفضائل: فحاز المكارم، واجتنب المعايب، فهو كذلك رفيع في نسبه وعالٍ في مكانته الاجتماعية، يقول[75]:

**ولي بيتٌ علا فلكَ الثريَّا تَخِرُّ لِعُظْمِ هَيْبَتِهِ البُيوتُ**

ويقول[76]:

**يقدّمُهُ فتًى من خيْرِ عَبْسٍ أبوهُ وأمهُ من آل حام**

ومن صور النرجسية النادرة عند غيره تضخم شعور الأنا الطاغي بالسعادة قوله[77]:

**وأسعَدَني الزمانُ فصار سَعْدي يشقُّ الحُجْبَ والسّبْع الطّباقا**

---

73. السابق ص 116.

74. السابق نفسه.

75. السابق ص 38.

76. السابق ص 145.

77. السابق،ص104.

ISSN : 2410-1818

قد لا يكون مألوفاً عد الشعور بالسعادة من تجليات النرجسية؛ لكن الشاعر هنا جاء بذلك على نحو من التضخيم والمبالغة ليس الغاية منهما الإخبار، بل المباهاة المنقطعة النظير، وتميز الأنا عن الآخرين.

**ثالثاً: تضخيم الآخر**

إبراز الآخر وتضخيمه من التكنيكات التي تتجلى فيها النرجسية في شعر عنترة من خلال توظيف الآخر واتخاذه وسيلة لإبراز الأنا أو مرآة تعكس صورته[78]؛ فنراه يعمد إلى إضفاء صفات البطولة والشجاعة على خصومه الذين يتمكن من قتلهم والانتصار عليهم، لا بدافع إنصافهم، ولا رغبة في الإشادة بهم؛ لكن لأنه بذلك يظهر مكانته، ويعلي من شأن بطولته[79]؛ لأنه يعلم أن الفارس لا يفخر فخره الحق إلا بانتصاره على فارس آخر في مستواه بسالة وشجاعة، وشواهد هذا تنحصر - تقريباً- في شعره الفروسي، من ذلك قوله[80]:

**ومدجج كره الكماة نزاله  لا ممعن هرباً ولا مستسلم**
**جادت يداي له بعاجل طعنة  بمثقف صدق الكعوب مقوم**
**كمَّشتُ بالرمحِ الطويل ثيابهُ  ليس الكريم على القنا بمحرم**
**وتركتهُ جزرَ السباع ينشنهُ  ما بين قلة رأسه والمعصم**

فثمة فارس كريم مدجج بسلاحه، ذو عزيمة قتالية عالية، وثبات في ميدان المعركة، يكره الأبطال ملاقاته لشدة بأسه وقوته، لكن على الرغم من ذلك كان حتفه على يدي عنترة، فهو وحده من يقدر على مواجهة أمثال هذا البطل.

ويقول في موطن آخر[81]:

**وَمِشَكٍّ سابغةٍ هَتكتُ فروجَها  بالسيف عن حامي الحقيقة معلم**
**ربذٍ يداهُ بالقداح إذا شتا  هتَّاك غايات التجار ملوَّم**
**بطل كأن ثيابه في سرحة  يُحذَى نعال السِّبت ليس بتوأم**
**لما رآني قَدْ نَزَلْتُ أُرِيدُهُ  أبدى نواجذهُ لغير تبسُّم**

78. ينظر: المرايا والرؤى، ص40.

79. قراءة في أدب العصر الجاهلي، محمد أحمد العامري، ص307.

80. شرح ديوانه، ص 173– 174.

81. السابق ص 175– 178.

ISSN : 2410-1818

**فطعنتهُ بالرُّمح ثم علوتهُ بمهندٍ صافٍ الحديدة مخذَم**

فخصمه هنا جمع المحامد والفضائل: الكرم والسيادة والشجاعة والبطولة والقوة والحمية، وقد صاغ ذلك على نحو من التضخيم والتهويل؛ لكنه على الرغم من ذلك كله لم يستطع الوقوف لعنترة، وكانت نهايته على يديه.

وفي موطن ثالث قال[82]:

**لقينا يومَ صهباءٍ سريّه حناظلةً لهُم في الحرب نيَّهْ**
**وكان زعيمُهُمْ إذْ ذاكَ لَيثاً هزبراً لا يبالي بالرزيهْ**
**فخَلَّفناهُ وسْطَ القاع مُلْقىً وها أنا طالب قتل البقيهْ**

وقال أيضاً[83]:

**فلربَّ أبلجَ مثل بعلكِ بادنٍ ضَخْمٍ على ظهر الجواد مُهبّل**
**غادرتهُ متعفراً أوصاله والقومُ بين مجَرحٍ ومجدل**
**فيهم أخو ثقةٍ يضاربُ نازلا بالمشْرفيّ وفارسٌ لم يَنزِلِ**

فعنترة في هذه المواطن يلاقي خصوماً أقوياء أشداء عنيدين، مدججين بالسلاح، مستبسلين في الحرب، لا يفكرون بالهزيمة، لكنه يتغلب عليهم؛ لأنه أشد منهم قوة، وأقوى عزيمة. وهكذا تجلت نرجسية عنترة في تضخيمه لهؤلاء الخصوم الذين اتخذهم وسيلة لتضخيم ذاته.

**رابعاً: تقمص المثالية**

يمكن عد تقمص المثالية صورة من الصور الناطقة بتعالي الذات الصارخة بتضخم الأنا؛ لكن ينحصر تجلّي النرجسية فيها بتضخيم اتسام الذات بالمكارم والقيم النبيلة؛ فتبرز هي الأكمل خلقاً والأتم نبلاً. وهذا الأمر له حضوره في شعر عنترة، ويتجلى ذلك على نحو أبرز في: عفته، وعزة نفسه وغناها. وقد نجح عنترة في إبراز نرجسيته المتقمصة للمثاليات على نحو سائغ وجميل أكسبها قبولاً، بل تعاطفاً وإعجاباً. فمن تقمصه العفة قوله[84]:

**ما اسْتَمْتُ أُنثى نفسَها في موْطنٍ حتى أُوَفّي مَهرها مَوْلاها**
**وأَغُضُّ طرفي ما بدَتْ لي جارَتي حتى يُواري جارتي مأْواها**

82. السابق ص 217.

83. السابق ص 121– 122. والمُهبَّل: الثقيل، وقيل الملوم.

84. السابق ص208.

ISSN : 2410-1818

فهذا التعامل مع المرأة مثالية غير معهودة في العصر الجاهلي. وهذه المثالية ليست من مقتضيات السيادة والزعامة في العصر الجاهلي، فقد تزعم سادة أخلوا بها، كما هو شأن عامر بن الطفيل ا[85]، لكنها من مؤشرات سمو الأخلاق وكمال النفس، وهو ما دفع عنترة لتقمصها وادعائها لنفسه.

ومن المثاليات التي تقمصها عنترة في شعره (الأنفة وعزة النفس)، هذا الخلق وإن لم يكن نادراً في شعر الشعراء كما هو في خلق العفة السابق، لكن تعامل عنترة معه كان مثالياً، ويتجلى فيه التوظيف النرجسي، ومما يلفت الانتباه تكرار ذلك في شعر عنترة؛ لعل ذلك ردة فعل أو انتقامٌ من مرحلة العبودية التي عاشها في صدر حياته، أو انعكاس عنها، من ذلك قوله[86]:

**لا تسقني ماءَ الحياةِ بذلةٍ بل فاسقني بالعزّ كأس الحنظل**

**ماءُ الحياةِ بذلةٍ كجهنم وجهنم بالعـزّ أطيبُ مـنزل**

إنها مثالية عليا تمتلئ بها ذات الشاعر في التمسك بالعزة مهما عظمت تكاليفها، أو هكذا يريدنا أن نحس.

ولم يكتف بادعاء ذلك وتقمصه، بل نراه ينصح الآخرين بذلك، كما في قوله[87]:

**فلا ترْض بمنقَصَةٍ وَذُلٍّ وتقنعْ بالقليل منَ الحطام**

**فَعيْشُكَ تحْتَ ظلّ العزّ يوْماً ولا تحت المذلَّةِ ألفَ عام**

وهو بهذا الصنيع يكون قد أكد تضخيم ذاته وتملكها لناصية الخلق السابق، أو هكذا تخيل أو أراد، بوعي أو دون وعي.

ومن المثاليات العليا التي تمثلها أو تقمصها عنترة مما يَحكِي مثالية التمسك بعزة النفس، مهما عانت النفس من الفاقة والحاجة قوله[88]:

**ولقد أبيتُ على الطَّوى وأظلهُ حتى أنال به كريمَ المأكلِ**

وقد أفلح الشاعر إلى حد كبير في فرض التسليم بمنطقية مثاليته هذه، وتقبل أناه المتضخمة المتعالية؛ فلقد أصبح قوله هذا مثلاً يضرب في الأنفة من الذل، ويقال إن النبي صلى الله عليه وسلم

85. ينظر: نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب الدين النويري (ت: 733هـ)، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط1، 1423هـ، 254/3.

86. شرح ديوانه، ص135.

87. السابق، ص 189.

88. السابق، ص127.

ISSN : 2410-1818

أُنشِد هذا البيت فاستحسنه[89]، وقيل إنه حين أُنشِده قال: "ما وصف لي أعرابيّ قط فأحببت أن أراه إلاّ عنترة[90]"، وسواء صحت هذه الآثار أو وضُعِت فكل ذلك انعكاس لأصداء المثالية المتعالية التي استطاع الشاعر أن يتقمصها على نحو مُسوَّغ.

وتتجلى عزة الذات المتعالية عنده على نحو أرقى في مدارج تقمص المثالية في قوله[91]:

**وأَيسَـرُ منْ كَفِّي إذَا ما مَدَدْتُها لَنَيْل عَطَاءٍ مَدُّ عُنْقي لذَابح**

**فيا رَبُّ لا تجْعلْ حَياتي مَذَمَّةً ولا مَوْتتي بين النِّساءِ النَّوائِحِ**

إن نفساً ترى أنها أهلاً لهذا الادعاء، أو تتعمد تقمصه، إنها لنفس متعالية غاية التعالي، ومتضخمة التضخم كله، لكنها النرجسية الإيجابية على أية حال.

إن تشبع ذات الشاعر بالأنفة وعزة الذات، وتقمصه لها وتضخمها بذلك ليبرز حتى في ما هو مخالف للمألوف[92]:

**موتُ الفتى في عزهِ خيرٌ له منْ أنْ يبيتَ أسير طرفٍ أكحل**

تشبع ذات الشاعر بالأنفة وعزة الذات أبت عليه الخضوع لمن يهوى - كما هو مألوف عند الآخرين- وهو العاشق الولهان.

ومن تقمصه للمثالية المنبعثة من الأنفة والترفع ما نلمسه في تصوير تعالي نفسه في نظرتها للمال، على الرغم مما هو معروف منذ القدم من أن "المال شقيق الروح[93]"، بل بالغ بعضهم فعده أفضل من روحه، حد قول بعضهم[94]:

**وقالوا شقيق الروح مالك فاحتفظ به فأجبت المال خير من الــروح**

**أرى حفظه يقضي بتحسين حالتي وتضييعه يقضي لتسآل مقبوح**

89. الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة، محمد بن أبي بكر التِّلمساني البُرِّي، نقحها وعلق عليها محمد التونجي، دار الرفاعي، الرياض، ط1، 1403 هـ - 1983 م، 369/1.

90. لباب الآداب، أسامة بن منقذ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مكتبة السنة، القاهرة، ط2، 1407هـ - 1987م، ص217.

91. شرح ديوانه، عناية أمين سعيد، ص37.

92. شرح ديوانه، ص134.

93. بيان المعاني عبد القادر بن ملّا حويش، مطبعة الترقي، دمشق، ط1، 1382هـ - 1965م، 3/4.

94. البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي (ت: 745هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ، 286/9.

ISSN : 2410-1818

وجاء في الذكر الحكيم **{وتحبون المال حباً جماً[95]}**، لكنا نجد الأنا المتقمصة لمثالية الترفع والأنفة عند عنترة تتعالى عن هذه القاعدة، كما في قوله[96]:

**فأرى مغانمَ لو أشاء حويتها فيصدُّني عنها كثيرُ تحشمي**

ومما يزيد من تضخم نفسه بهذا التعالي تكرار تصريحه به، ففضلاً عن قوله السالف نجده يقول[97]:

**يخبرك من شهد الوقائع أنني أغشى الوغى وأعف عند المغنم**

ويقول[98]:

**ويَوْمَ البَذْلِ نعْطي ما مَلَكْنا ونملا الأرضَ إحسانا وجوداُ**

ومن الصور التي تتجلى فيها نرجسية عنترة المتقمصة للمثالية تصويره نفسَه مكتنز الفضائل ومنبع الكمالات، مع ادعائه البراءة من المعايب والخلو من النقائص، ولهذا في شعره حضور متعدد أوجه التناول، كما في قوله[99]:

**وإنّي قد سبقْتُ لكُلّ فَضلٍ فَهلْ من يَرْتقي مثلي المراقي**

وفي قوله[100]:

**وما وجد الأعادي فيَّ عيباً فعابوني بلون في العيون**

وفي قوله أيضاً[101]:

**شبيهُ اللّيلِ لوني غيرَ أنّي بفعلي منْ بياض الصُّبح أَسنى**

---

95. سورة الفجر، آية 20.

96. شرح ديوانه، ص192.

97. السابق،ص172.

98. السابق،ص50.

99. السابق، ص109.

100. شرح ديوان عنترة، عني بتصحيحه أمين سعيد، ص157.

101. شرح ديوانه، ص 195.

ISSN : 2410-1818

**الخاتمة والنتائج**

في نهاية هذا البحث توصل الباحث إلى النتائج الآتية:

1. أياً كانت النرجسية التعبيرية صحية أو في الاتجاه غير السلبي، فإنها تظل عند المتلقي غير سائغة كثيراً؛ لأن حديث الشخص عن نفسه غير محبذ بل منفر، وتظل -غالباً- في محل استهجان وشك.
2. الصورة الإيجابية التي تختزنها الذاكرة الجمعية العربية لعنترة حالت دون الإحساس بالنرجسية التي يفيض بها شعره.
3. النرجسية عند عنترة ليست نرجسية مرضية، بل تنحو منحى إيجابياً، ولها عواملها المبررة.
4. عوامل نشوء النرجسية عند عنترة - بمجملها - تنبجس من بؤرة واحدة تتمثل بكونها ردة فعل الأنا المتعالية/المجني عليها - عن وعي أو غير وعي - ضد سلوك الآخر/الجاني إزاءها.
5. تجلت النرجسية عند عنترة في تكنيكات عدة وظفها لإبراز ذاته، منها: تقمصه للمثاليات، وتضخيم نفسه، وتضخيم خصمه، لكنه لم يعمد إلى ما يصنعه أكثر النرجسيين من (تصغير الآخر وتحقيره) في سبيل الارتفاع بالنفس على حساب هذا الآخر؛ ربما لسمو نفسه وكريم أخلاقه، ولأنه عانى ذلك فلم يقترفه في حق الآخرين إلا حين يضطر.
6. نرجسية عنترة المتقمصة للمثاليات جاءت على نحو سائغ أكسبها قبولاً لدى المتلقي، بل تعاطفاً وإعجاباً؛ ولعل ذلك أثر من آثار الصورة الإيجابية التي تختزنها ذاكرة المتلقي العربي لعنترة.

ISSN : 2410-1818

## قائمة المراجع

1. الابتيار في شعر عمر بن أبي ربيعة، هند بنت عبد الرزاق المطيري، مجلة الآداب للدراسات اللغوية والأدبية، المملكة العربية السعودية، العدد 6، يونيو، 2020م.
2. أثر برنامج إرشادي للتخفيف من نرجسية الطلاب الشعراء في كلية التربية، أحمد يونس محمد البجاري، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد1، العدد11، بغداد، 2012م.
3. إيمان محمد إبراهيم العبيدي، نرجسية الشعراء الجاهليين دراسة نقدية، مجلّة كلية التربية، جامعة بغداد، العدد التاسع عشر، أبريل 2015م.
4. البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي (ت: 745هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ.
5. بدائع البدائه، علي بن ظافر الأزدي الخزرجي (ت: 613هـ)، طبعة مصر، 1861م.
6. بيان المعاني عبد القادر بن ملّا حويش، مطبعة الترقي، دمشق، ط1، 1382هـ - 1965م.
7. تهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري (ت: 370هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م.
8. جمهرة اللغة، أبو بكر بن دريد(ت: 321هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1987م.
9. الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة، محمد بن أبي بكر التِّلمساني البُرِّي، نقحها وعلق عليها محمد التونجي، دار الرفاعي، الرياض، ط1، 1403هـ- 1983م.
10. دراسة نفسية لشخصية المتنبي من خلال شعره، د. عبده علي الجسماني، الجيل الجديد، صنعاء، ط 1، 1999م.
11. الديناميات الوظيفية للشخصية النرجسية، عبد الرقيب أحمد البحيري، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، ط1، 2007م.
12. الشخصية النرجسية وعلاقتها بالسلوك الإيثاري لدى الطلبة المتميزين في ثانويات المتميزين، إيمان صادق عبد الكريم، طالب عبد سالم ، مجلة كلية التربية للبنات، المجلد 23، العدد 2، العراق، 2012م.
13. شرح المعلقات التسع المنسوب لأبي عمرو الشيباني (ت 206 هـ)، تحقيق وشرح: عبد المجيد همو، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط1، 1422 هـ - 2001 م.
14. شرح ديوان عنترة، الخطيب التبريزي، قدم له ووضع هوامشه مجيد طراد. دار الكتاب العربي. بيروت.1425هـ -2004م.
15. شرح ديوان عنترة، عني بتصحيحه أمين سعيد، المكتبة التجارية الكبرى.
16. شَرْحُ شِعْرِ المُتَنبي، ابن الإفليلي (ت: 441هـ)، دراسة وتحقيق: الدكتور مُصْطفى عليَّان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1412هـ - 1992م.

ISSN : 2410-1818

17.الشعر الجاهلي قضاياه وظواهره الفنية. د. كريم الوائلي.
18.علاقة مستوى النرجسية بالإدمان على شبكة التواصل الاجتماعي "الفيس بوك" لدى المراهق الجزائري، أطروحة دكتوراه، بن جديدي سعاد، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2016م.
19.عوامل الشخصية الخمس الكبرى كمنبئات للنرجسية، آمال عبد القادر جودة، وحمدي أبو جراد، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات التربوية والنفسية، المجلد 2، العدد 6، فلسطين، 2014م.
20.في النقد والأدب، إيليا حاوي، الدار اللبنانية للكتاب، ط 4، 1971م.
21.قراءة في أدب العصر الجاهلي، محمد أحمد العامري، ط2، 2015م.
22.لباب الآداب، أسامة بن منقذ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مكتبة السنة، القاهرة، ط2، 1407هـ - 1987م.
23.لسان العرب، ابن منظور(ت: 711هـ)، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.
24.مجلة القوافي، الشارقة، السنة الثالثة/ (24)، أغسطس، 2021، مقدمة العدد.
25.المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن بن سيده المرسي (ت: 458هـ) ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ - 2000م.
26.محمد إقبال: فكره الديني والفلسفي، محمد العربي بو عزيز، دار الفكر المعاصر، دمشق، 1999م.
27.المرايا والرؤى دراسات في شعر الزبيري، د. عبد الحميد الحُسَامي، ط1، 2022م.
28.المعجم المفصل في الأدب، محمد التونجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1999م.
29.المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى/ أحمد الزيات/ حامد عبد القادر/ محمد النجار)، دار الدعوة، .
30.معجم مصطلحات التحليل النفسي، جان لا بلانش و ج ب بونتاليس، ترجمة مصطفى حجازي، 1987م.
31.مقياس الشخصية النرجسية (NPS)، محمد أحمد إبراهيم سعفان، دار الكتاب الحديث، القاهرة 2008م.
32.نرجسية الشعراء الجاهليين، دراسة نقدية، د. إيمان محمد إبراهيم العبيدي، مجلة كلية التربية – ابن رشد، جامعة بغداد، العدد التاسع عشر، نيسان، 2015م.
33.النرجسية في شعر المتنبي، سامية محجوب، مذكرة لنيل الماجستير، جامعة البويرة، الجزائر، 2015م.
34.النرجسية في شعر نزار قباني، سعد بو فلاقة، ط1، 1994م.
35.النرجسية وتجلياتها في غزل بن زيدون، د. حسناء أقدح، مجلة جامعة دمشق، المجلد 29، العدد(1+2)، 2013م.
36.نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب الدين النويري (المتوفى: 733هـ)، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط1، 1423هـ.